وما سواها (321)

الرشد وإبن رشد !!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

إبن رشد ثورة تنويرية إنطلقت في القرن الثاني عشر ميلادي في بلاد الأندلس , وتحقق إخماده بعدوانية سافرة , رغم قيمته ومقامه العلمي والفقهي الرفيع.

وتواصلت ثورته في أوربا لتكون المشعل المتوهج , الذي أخرجها عصور الظلمات والبؤس وتسلط الكنيسة على مصائر البلاد والعباد.

فالعرب أطفؤا نور وجودهم , والغرب أوقدوه في ديارهم , فتفاعلوا مع التحديات بعقولهم , التي حثها إبن الرشد على العمل , وجعلها السبيل الأرحب لأي مسير.

وهذه إقترابات من شخصية رائد الفكر التنويري الإنساني الحضاري.

إبن رشد ثورة تنويرية إنطلقت في القرن الثاني عشر ميلادي في بلاد الأندلس , وتحقق إخماده بعدوانية سافرة , رغم قيمته ومقامه العلمي والفقهي الرفيع

العرب أطفؤا نور وجودهم , والغرب أوقدوه في ديارهم , فتفاعلوا مع التحديات بعقولهم , التي حثها إبن الرشد على العمل , وجعلها السبيل الأرحب لأي مسير

أولا: إبن رشد وثورة العقل الموؤدة!!

إبن رشد العربي القرطبي (1126-1198) ميلادية , ثائر عقلي وفيلسوف لبيب , عمل جاهدا لإحياء العلوم العقلية , ورفع رايات يعقلون ويتفكرون ويتدبرون , فحاول التوفيق ما بين الشريعة والحكمة , وتحرير العقل من أصفاد التبعية , والإذعانية والخنوع والجمود , ودافع عن العقل ووقف ضد الساعين لتدميره وإلغاء دوره , فرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي بكتاب تهافت التهافت , وتواصل بنشاطاته الفكرية لإستنهاض العقل العربي من غفوته وغفلته , وإطلاق جوهر ما فيه من المكنونات الحضارية.

إبن رشد العربي القرطبي (1126-1198) ميلادية , ثائر عقلي وفيلسوف لبيب , عمل جاهدا لإحياء العلوم العقلية , ورفع رايات يعقلون ويتفكرون ويتدبرون , فحاول التوفيق ما بين الشريعة والحكمة , وتحرير العقل من أصفاد التبعية , والإذعانية والخنوع والجمود

دافع عن العقل ووقف ضد الساعين لتدميره وإلغاء دوره , فرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي بكتاب تهافت التهافت , وتواصل بنشاطاته

ولا أريد الخوض في تفاصيل حياته , فالأهم دعوته للعمل العقلي والإبداع اللازم لصناعة الحضارة المتوافقة مع قدرات الأجيال في عصورها المتعاقبة , فهو من كبار علماء زمانه , وتولى قضاء أشبيلية وقرطبة , وكان من المقربين لخلفاء الموحدين , خصوصا المنصور الذي قربه ودمره في ذات الوقت , بسبب وشاية فقهاء الدين , الذين شعروا بأن توجهات إبن رشد تزعزع سلطاتهم الدينية وهيباتهم الإجتماعية والسياسية , ففعلوا ما فعلوه من الوشايات والمكائد , التي إنتهت بإحراق كتبه وإتهامه بالزندقة والإلحاد ونفيه إلى مدينة "اليسانة".

وتم إشاعة وترسيخ مفهوم أن الفلاسفة والذين يعقلون ويتدبرون ملحدون وزنادقة , وعلى الناس أن يبتعدوا عنهم ويحتقرونهم ويحرقوا كتبهم ويمتنعوا عن تداول آرائهم.

وفي هذا الوقت إهتمت أوربا –التي كانت تعيش في ظلمات عصورها – بفكر إبن رشد ورؤاه وتصوراته , وإنطلقت فيها حركات إعمال العقل والفكر , وبفضل هذه التفاعلات إستطاعت أن تتحرر من عصور الإنحطاط , وتبدأ ثورتها المعرفية التي توجتها المنطلقات البيكونية الحاثة على التجربة والعلم , فوصلت

بأحوالها إلى ما هي عليه اليوم.

بينما العرب إجتهدوا في قتل فكر إبن رشد , وإسكات دعواته العقلية والتدبرية والتفكرية , فتمتعوا بعصور حالكة منذ وفاته وحتى اليوم , ولا يزالون يحاربون العقل ويتبعون الذين يتاجرون بالدين , ويسخرون العباد لتمرير رغباتهم وأهوائهم , وما يبتغون من متاع الدنيا ولذائذها , وهم من ألد أعداء الدين وأشد خلق الله نفاقا.

وكان إبن رشد منوِّراً عقليا شجاعا ومقداما , وضع المتاجرين بالدين في مواقف صعبة تهدد مكانتهم , مما حدى بهم للقضاء عليه وإعدام فكره , ومنطلقاته المبنية على الأدلة والبراهين العقلية والحقائق الساطعة , فهم يريدون مَن يتبع ويقبع , ويفترضون أن الناس جهلة لا يعلمون , وهم الذين يحتكرون المعارف والعلوم , وعلى الآخرين أن يقولوا آمين.

ومن المعروف أن مصطلحات فاسق , كافر , ملحد وزنديق وغيرها قد طغت على المسيرة العربية , ولا تزال فاعلة في المجتمع العربي , فما أن ينهض إنسان يدعو إلى العقل وإستخدامه , إلا وهبَّت بوجهه القوى التي تشعر بالتهديد , وأكالت عليه هذه التهم وخوفت الناس منه ووضعته في أقفاص الإجرام , فتنهال عليه الأقلام المغرضة ووسائل الإعلام , ويتم التشهير به في الخطب والمحافل , حتى يتقرر إغتياله أو الحكم عليه بالسجن المؤبد , لأنه قال يا أمة يعقلون أين العقل , أو يا أمة " إقرأ" لماذا لا تقرؤون؟!!

وهذا السلوك أدى إلى ترسيخ مفاهيم وتفاعلات الإنتكاس الوخيم الفاعل بالوجود العربي , ولن تستعيد أمة كرامتها وقدراتها الحضارية إن لم تعود إلى عقلها وتستحضر حكمتها ورشدها , وتعمل بقدرات العقول المتفاعلة الفاعلة لا المنفعلة الخالية من حثالة لب أو رشاد مبين.

فهل سنعيد لإبن رشد عزته وكرامته , وللعقل هيبته وحضوره في واقعنا الممنوع من إعمال العقل؟!!

أم أن في ذلك كفر وإلحاد وزندقة وفسوق , يا أمة الفرقان؟!!

ثانيا: إبن رشد عدونا!!

سألني زميلي وهو من المهتمين باللاتينية والعبرية قائلا: هل تعرف إبن رشد؟!

قلت: وكيف لا أعرفه وقد كنت أعمل في مستشفى تحمل إسمه , وما علمتني شيئا عنه , لكني إطلعت على حياته وإنجازاته!!

قال: أ تعلم أن مؤلفاته مترجمة للاتينية والعبرية , وهناك إتجاهات فكرية فلسفية تنسب إليه في الحالتين؟

قلت: أعلم أن كتبه قد ترجمت لهاتين اللغتين في بداية القرن الثالث عشر في ألمانيا وانتشرت في فرنسا وإيطاليا.

قال: هناك ما يسمونه بالرشدية اللاتينية والرشدية العبرية , وقد لعبت دورها في تحرير العالم الغربي من العصور المظلمة ومن هيمنة الكنيسة على العقل.

قلت: إبن رشد من أكثر الفلاسفة فهما وقربا لأرسطو وترجم كتبه إلى العربية بأسلوب يستطيع القارئ أن يفهمها , وذلك في القرن الثاني عشر بموجب طلب من أمير قرطبة , الذي كان شغوفا بالفكر والفلسفة وتساءل عمّن يعينه على فهم كتب أرسطو , فاقترح عليه العالم الكبير إبن طفيل بوجود شاب

الفكرية لإستنهاض العقل العربي من غفوته وغفلته , وإطلاق جوهر ما فيه من المكنونات الحضارية

من كبار علماء زمانه , وتولى قضاء أشبيلية وقرطبة , وكان من المقربين لخلفاء الموحدين , خصوصا المنصور الذي قربه وحضره في ذات الوقت

تم إشاعة وترسيخ مفهوم أن الفلاسفة والذين يعقلون ويتدبرون ملحدون وزنادقة , وعلى الناس أن يبتعدوا عنهم ويحتقرونهم ويحرقوا كتبهم ويمتنعوا عن تداول آرائهم

في هذا الوقت إهتمت أوربا – التي كانت تعيش في ظلمات عصورها – بفكر إبن رشد ورؤاه وتصوراته , وإنطلقت فيها حركات إعمال العقل والفكر

بينما العرب إجتهدوا في قتل فكر إبن رشد , وإسكات دعواته العقلية والتدبرية والتفكرية , فتمتعوا بعصور حالكة منذ وفاته وحتى اليوم , ولا يزالون يحاربون العقل ويتبعون الذين يتاجرون بالدين

كان إبن رشد منوِّراً عقليا شجاعا ومقداما , وضع المتاجرين بالدين في مواقف صعبة تهدد مكانتهم , مما حدى بهم للقضاء عليه وإعدام فكره , ومنطلقاته المبنية على الأدلة والبراهين العقلية والحقائق الساطعة

متحمس إسمه إبن رشد يمكنه أن يقوم بالمهمة؟

وكان وقتها في مقتبل العمر لكنه نابغ الذكاء وثري المعرفة , ومن عائلة تتميز بالفقه وعلوم القرآن , فجده قاضي قضاة قرطبة وكذلك أبوه ومن ثم هو قد تسنم ذات المنصب.

قال : لم أجد له أثرا في العالم العربي؟!

قلت: لقد تم إقصاؤه ولولا مكانته وعراقة عائلته ومنزلتها لتم قتله , لكن كتبه أحرقت , ونفي إلى مدينة يقطنها اليهود لكي لا يؤثر في المسلمين , لكنه بكل تأكيد أنار عقول أهل تلك المدينة.

قال: مع الأسف!!

قلت: بسبب هذه السلوكيات التي تواصلت عند العرب والمسلمين صار حالهم على ما هم عليه اليوم , إذ أطفؤا أنوار الفكر والعقل وتراكضوا وراء سرابات البهتان والضلال , فداسوا على العقل ومنعوه من التفاعل مع الحياة وتجمدوا في نمطية حرفية نصية , لا يمكن الحياد عنها , فهم يسيرون على ذات السكة منذ قرون , وإن تجرأ أحدهم أن يخرج عنها يلقى مصيرا مروعا.

وما عاناه إبن رشد لا يُقارن بما أصاب العديد من الأنوار العقلية العربية على مر العصور , فمن يخرج عن سكة الملة يسمى كافرا أو زنديقا , وتتراكم الفتاوى القاضية بقتله أبشع قتلة , لكي يكون عبرة لغيره من النابهين!!

قال: إنه لمأزق حضاري مروع!!

قلت: وكذا هي أحوالنا!!

فهل للعقل دور في حياتنا المعاصرة؟!!

ثالثا: هل أخطأ إبن رشد؟!

لا يحق لنا أن نحكم على جهبذ بهذه القدرات العلمية والمعرفية التنويرية الثاقبة , التي سبقت عصره وما تلاه من عصور , لكن الرجل يمتلك طاقات حضارية إنبعاثية تصلح لبناء صرح وجود متميز ومتطور بلا حدود.

فقد واجه منطلقات الغزالي بجرأة وشجاعة وشكك في طروحاته , ورهنه الأجيال بالماضيات ومنعها من وظيفة التفكير , ولديه منهجه الواضح الصريح الذي يدعو إلى إعمال العقل في النص الديني , والتأويل , ولا إجماع مع التأويل , ولا سلطان على العقل إلا العقل , وغيرها من المنطلقات الفكرية الحضارية المطلقة.

وهو فقيه قرطبة وعالمها الأكبر البارع بالطب والفلسفة والعلوم الأخرى , والذي إتخذه السلاطين مستشارا مقربا إليهم لغزارة علمه وأفياض حكمته.

ولِما بلغه من علم ومعارف وجد فيما طرحه الغزالي وهيمن به على عقل الأمة الخطأ الذي سيزري بها إلى حضيض التداعيات , فنهض بجرأة وإقدام وتصدى له وفند طروحاته , لكن ردة الفعل التي جاءت من الذين إستنفعوا في رؤى " تهافت الفلاسفة" وما نجم عنه من مدارس وأعلام وجماعات , حولته من فقيه وعالم إلى كافر وزنديق يستوجب إنزال القصاص فيه.

وهنا توجد إشكالية في آلية الطرح , أي أنه أصاب فيما ذهب إليه ورآه , لكنه أخفق في كيفية طرحه والتصريح به , فكانت طروحاته قنابل فكرية مدوية أرعبت كيان المتاجرين بالدين , من الذين يعتاشون

أن مصطلحات فاسق , كافر , ملحد وزنديق وغيرها قد طغت على المسيرة العربية , ولا تزال فاعلة في المجتمع العربي , فما أن ينهض إنسان يدعو إلى العقل وإستخدامه , إلا وهبَّت بوجهه القوى التي تشعر بالتهديد , وأكالت عليه هذه التهم وخوفت الناس منه ووضعته في أقفاص الإجرام

لن تستعيد أمة كرامتها وقدراتها الحضارية إن لم تعود إلى عقلها وتستحضر حكمتها ورشدها , وتعمل بقدرات العقول المتفاعلة الفاعلة لا المنفعلة الخالية من حثالة لبب أو رشاد مبين

إبن رشد من أكثر الفلاسفة فهما وقربا لأرسطو وترجم كتبه إلى العربية بأسلوب يستطيع القارئ أن يفهمها , وذلك في القرن الثاني عشر بموجب طلب من أمير قرطبة

بسبب هذه السلوكيات التي تواصلت عند العرب والمسلمين صار حالهم على ما هم عليه اليوم , إذ أطفؤا أنوار الفكر والعقل وتراكضوا وراء سرابات البهتان والضلال

ما عاناه إبن رشد لا يُقارن بما أصاب العديد من الأنوار العقلية العربية على مر العصور

قد واجه منطلقات الغزالي بجرأة وشجاعة وشكك في طروحاته ,

على عطايا السلاطين في كل مكان وزمان.

فهو لم يطرح فكره بأسلوب تدريجي وتأهيلي , لكي لا يُحدِث الدويّ الذي أشاع الهلع في نفوس فقهاء عصره , ولا يُعرف إن كان على دراية بقيمة ما يتناوله , وقدرتِه على خلق وجود حضاري جماهيري لا يُضاهى.

فما قام به كالذي يمتلك جواهر نادرة أظهرها للناس وألقاها عليهم , فأصابهم بالذهول والحيرة والإندهاش , فما وجدوا مخرجا مما أوصلهم إليه إلا بالتخلص منه.

قد لا يتفق الكثيرون مع هذا الرأي , لكنه مجرد قراءة من زاوية أخرى , لأن خسارة الأمة كانت عظيمة وجسيمة , لعدم فهمها وإستيعابها لرؤى إبن رشد التي أحيَت الغرب , ولا يزال العرب في قنوطهم وسباتهم وغفلتهم يعمهون , والنور بين أيديهم ولا يبصرون!!

فهل من عودة إلى نور اليقين ونبراس النهى المبين؟!!

ورهنه الأجيال بالماضيات ومنعها من وظيفة التفكير , ولديه منهجه الواضح الصريح الذي يدعو إلى إعمال العقل في النص الديني , والتأويل , ولا إجماع مع التأويل , ولا سلطان على العقل إلا العقل

وجد فيما طرحه الغزالي وهيمن به على عقل الأمة الخطأ الذي سيزري بها إلى حضيض التداعيات , فنهض بجرأة وإقدام وتصدى له وفند طروحاته

ردة الفعل التي جاءت من الذين إستنفعوا في رؤى " تهافت الفلاسفة" وما نجم عنه من مدارس وأعلام وجماعات , حولته من فقيه وعالم إلى كافر وزنديق يستوجب إنزال القصاص فيه

أصاب فيما ذهب إليه ورآه , لكنه أخفق في كيفية طرحه والتصريح به , فكانت طروحاته قنابل فكرية مدوية أرعبت كيان المتاجرين بالدين , من الذين يعتاشون على عطايا السلاطين في كل مكان وزمان.

لم يطرح فكره بأسلوب تدريجي وتأهيلي , لكي لا يُحدِث الدويّ الذي أشاع الهلع في نفوس فقهاء عصره

قد لا يتفق الكثيرون مع هذا الرأي , لكنه مجرد قراءة من زاوية أخرى , لأن خسارة الأمة كانت عظيمة وجسيمة , لعدم

رابعا: إبن رشد!!

عقولٌ دونَ عقلٍ مُستنيرِ
وقد غُرِرَتْ بنقلٍ مُسْتطيرِ

توابعُ حالةٍ من نَسْجِ أمْرٍ
يُحاصِرُهُمْ بداهيةِ المَصيْرِ

تَعَطّلَ لبُّهُمْ والفِعْلُ جُرْمٌ
وإمْعانٌ بمَأثومٍ خَطيرِ

إذا بلغَ الرشادُ بها مَناراً
تداعَتْ في مُعاداةِ البَصيْرِ

لرأسِ قَضاتِهمْ صَنعوا وطيْساً
وبرهاناً لكائدةِ العَسيرِ

فقالوا مارقٌ أوْحى بكُفرٍ
وعُدوانٍ على سُنَنِ العَشيرِ

ذرائعُ حِقدِهمْ جاءَتْ بغَدْرٍ
للوْذَعِها وجَهْبذِها القَديرِ

بتأويلٍ نفى الإجماعَ فيها
وإنّ لعقلنا حدُّ المسيرِ

فهمها واستيعابها لرؤى إبن رشد التي أحيَت الغرب , ولا يزال العرب في قنوطهم وسباتهم وغفلتهم يعمهون , والنور بين أيديهم ولا يبصرون!!

كم من رموز الأمة الأفذاذ عانوا من عدوان الآخرين المتنفذين , ومن وعاظ الكراسي والناقمين على النابغين البارزين في ميادين العلم والمعارف

إذا نظرَ اللبيبُ إلى نُصوصٍ
تبينَ خافياً بينَ السُطورِ

وإن أفشى بتفسيرٍ جَديدٍ
أساؤا فِهْمَ واعيةَ الخَبيرِ

فكم من رموز الأمة الأفذاذ عانوا من عدوان الآخرين المتنفذين , ومن وعاظ الكراسي والناقمين على النابغين البارزين في ميادين العلم والمعارف الحضارية الأصيلة , وتزخر مسيرة الأمة بعناءاتهم ومقاساتهم وما أصابهم من الجور والقهر والإمتهان.

وبرغم أهوال التحامل والغل والنكران , فأن الأمة تنتصر على المعوقات والمصدات , وتنطلق في مسيرتها , فهي الواعدة الولود القوية البنيان.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa321-120122.pdf

*** *** ***

" شبكة العلوم النفسية العربية
انجازات الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)
الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022
اشتراكات العضوية
عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"
عضوية "الشريك الفخري الماسي"
عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3